

تأليف : آرثر كونان دويل

شارلوك هولمز

لغز سفينة «غلوريا سكوت»
The Gloria Scott

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند نيسان 1893

ذكريات



ترجمة : سليمان حسون

رواد المعرفة



مغامرات شارلوك هولمز

- 1- فضيحة شي بوهيميا
- 2- عصبة ذوي الشعر الأحمر
- 3- الهوية الغامضة
- 4- لغز وادي بوسكومب
- 5- بذور البرتقال الخمس
- 6- الرجل ذو الشفة المقلوبة
- 7- مغامرة العقيق الأزرق
- 8- مغامرة الشريط المرقط
- 9- مغامرة إيهام المهندس
- 10- مغامرة النجيل الأعزب
- 11- مغامرة تاج الزمرد
- 12- مغامرة منزل الأشجار
الحاسية

ذكريات شارلوك هولمز

- 1- ذو الغرة الفضية
- 2- لغز الطرد البريدي
- 3- الوجه الأصفر
- 4- لغز موظف البورصة
- 5- لغز سفينة غلوريا سكوت
- 6- طقس موسعريف
- 7- لغز بلدة ريغيت
- 8- لغز الرجل الأحذب
- 9- المريض المقيم
- 10- المترجم اليوناني
- 11- وثائق المعاهدة البحرية
- 12- المشكلة الأخيرة

ISBN 978-9933-14-807-2



9 789933 148072

رواد المعرفة للنشر والتوزيع

دولة الكويت - جوال: 0096590088113

Email: rawadalmarefa@hotmail.com

حقوق الطبع محفوظة
الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

ذكريات شارلوك هولمز
The "Gloria Scott"
لغز سفينة «غلوريا سكوت»

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد

سورية - دمشق - هاتف: 00963 11 2262422 / 2256733
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

5

ذكريات شارلوك هولمز

The "Gloria Scott"

لغز سفينة «غلوريا سكوت»

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
نيسان 1893

ترجمة: سليمان حسون

مراجعة: لينا حجازي

مُقَدِّمَةٌ

تفوّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشُّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدة من أكثر الشخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته

العقلية، وتفكيره من أجل الوصول إلى حل كل لغز اشتركت فيه. وكأئها (أي شخصية هولمز) كانت تحت القارئ دوماً وتحفزه للوصول إلى الحقيقة، أو حل اللغز المطروح بشكل يجعل القارئ يضطر لاستخدام كل ملكاته الفكرية والعقلية للوصول مع هولمز وواطسون إلى حقيقة الأمر، أو حتى أن يسبقهما في التوصل للحقيقة. الطريف في شخصية هولمز أنها وعلى الرغم من أنها تقدم لنا شخصاً من لندن في نهاية القرن التاسع عشر إلا أنها من خلال طريقة تعاملها مع ما حولها ومن حولها تبدو شخصية أكثر معاصرة وكأن كونان دويل نجح بتحويلها إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهم من شخصية هولمز التي تتسبب كل قصص كونان دويل هي شخصية كاتبها التي تشي بشخص عاش حياته كتجربة عظيمة تمكّن إلى أقصى حد في تصويرها من خلال شخصية هولمز، أحياناً وشخصية د. واطسون بصورة أكبر وأكثر جلاء. كما تمكّن الفنان سيدني باجيت من ابتداء صورة نمطية محدّدة ومشوّقة للسيد هولمز في

أذهاننا، مع مواكبة قصص كونان دويل برسومات جميلة جعلت صورة هولمز المرتدي لقبعته المميزة. وجليونه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل

مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولد الطبيب والروائي البريطاني السير آرثر كونان دويل في أدنبرة باسكتلندا سنة 1859، واشتهرت الشَّخصية التي ابتدعها «شارلوك هولمز» لرجل التَّحري الذَّكي القادر على فك ألغاز الجرائم، معتمداً على امكاناته الذَّهنية وقوة الملاحظة، واتباع طريقة الملاحظة والتَّحليل والاستنتاج بالاعتماد على العلم والمنطق، هذه الشَّخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقد مُثلت العديد من رواياته وقصصه، وتحوَّلت إلى أفلام سينمائية وأفلام كارتونية. وقد هجر السير آرثر دويل مهنة الطَّب بعد أن مارسها ثماني سنوات، واتَّجه إلى الأدب، واستطاع أن يبدع فيه. بدأ حياته الأدبية سنة 1887 بكتابة القصص القصيرة للمجلات بهدف زيادة دخله. يقول

النَّاقِد كريسٲوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصية روائية هذا الحظ من القدرة على امتاع القراء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطَّب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النُّزُر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصُّعود. وبلغت مجموع القصص والروايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 - 1902» رُقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصية خيالية لمحقق من أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشخصية بمهارتها الشديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشخصيات الأدبية المعروفة بشكل عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصتين رواهما هولمز بنفسه، واثنين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنه محقق استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبت أنها صعبة الحل جداً على المحققين الرسميين (النمطيين). وتُخبر القصص أنه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من

هذه القضايا الصغيرة، مُركزة على القضايا المشوّقة التي تتطلب منه القيام بتحريك ساقيه فعلاً. يتخصّص هولمز في حل القضايا الغريبة مستخدماً قواه الاستثنائية في المراقبة والتحليل المنطقي.

يُصوّر هولمز بشكل دائم في الوسائط الإعلامية المختلفة مرتدياً قبعة صائد الأيائل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسكاً بعدسة مكبرة. ويوصف هولمز بأنه سيد إنجليزي من الطراز الفيكتوري، طويل ورشيق، له عينان حادّتان دقيقتان، وأنف معقوف. بالرغم من قامته النحيلة فإنّ قدراته البدنيّة عالية. هو ملاكٌ ومبارزٌ ماهرٌ، وعادة ما يتغلّب على خصومه في المرات القليلة نسبياً التي اضطر فيها للاشتباك جسدياً. وفي مغامرة إكليل العقيق يقول هولمز أنّه: (يملك قوة استثنائية في أصابعه). أمّا في مغامرة المنزل الفارغ فيذكر أنّه: (يملك القليل من المعرفة حول المصارعة اليابانية). كان يعيش هولمز في لندن شارع بيكر عنوان B 221.

في أوّل قصصه، دراسة بالقرمزي، قُدّمت بعض

المعلومات عن خلفية هولمز. قُدِّم في 4 آذار 1881 على أنَّه طالب كيمياء مستقل، له مجموعةٌ واسعةٌ من الاهتمامات الجانبية، وتقريباً؛ فإنَّ كل هذه الاهتمامات تصب في مجرى مساعدته ليصبح خارقاً في حل الجرائم. في مغامرة أخرى مبكِّرة بعنوان مغامرة غلوريا سكوت، تتضح الأسباب التي دعت هولمز إلى العمل كمحقق خاص؛ امتداح والد زميله في الكلية الشَّدِيد لمواهبه وقدراته الاستثنائية.

في مغامرة المترجم الإغريقي، يقول هولمز: أنَّ جدَّته كانت شقيقة الرَّسام الفرنسي فيرنو. وفي دراسة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شارلوك هولمز أيضاً مُحلِّل شفرات كفاء، ويقول لواطسون: أنا متآلف مع كل أشكال الكتابة السريَّة بشكل جيد، وأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلَّت إحدى الشُّفرات في مغامرة الرِّجال الرَّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأولى.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التَّنكر بعد أن تنكر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحَّية أو سبَّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفيرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقِّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلة الجنائية الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضاياها، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغات). وملاحظته نوع الرصاص المستخدم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نورود).

عاش شارلوك هولمز تاريخياً، في B 221 شارع بيكر، لندن منذ 1881، حيث أمضى العديد من سنواته المهنية مع صديقه الحميم دكتور واطسون، الذي تشارك الشقة معه قبل زواج واطسون في 1890. وكانت تشرف على صيانة الشقة والاهتمام بها السيدة مارثا هدسون، مالكة البناية. وقد وصف دويل الحي الذي يعيشان فيه بدقة، حتى أن الكثيرين من القراء زاروا شارع بيكر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومن أبرز الشخصيات التي ظهرت في حياة شارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسون؛ صديق هولمز الحميم، وكاتب سيرته الذاتية، كما أنه يقوم بتسجيل معظم قضايا هولمز. وفي القصص الأخيرة ينتقد هولمز واطسون دائماً لأنه يروي القصص بشكلٍ مشيرٍ، مبتعداً عن الطريقة الموضوعية والمفصلة للتقارير التي تركز على ما يُسميه هولمز (العلم المحض). واطسون، بالمقابل، له سمعة مبررة بعض الشيء

كرجل يميل إلى النساء، يتكلّم بحب عن بعض النساء، وفي بعض القصص الطويلة كثيراً ما يركّز على جمال امرأة معيّنة، وفي النهاية فإنّه يتزوّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي

«عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنّ الرسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعتة بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنّ موريارتي وحده من سقط في الشلال، وأنّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النساء القلائل اللاتي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍّ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طمّوح أو طاقة، ولن يتزحّزح عن هذا حتّى
ليثبت حلوله الخاصّة، ويُفضّل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن
يتحمّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت
مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شررّحات ثبتت صحتها
فيما بعد، غير أنّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط
العملية.

لغز السفينة «غلوريا سكوت»

كنت جالساً مع صديقي شارلوك هولمز في إحدى ليالي الشتاء بجوار المدفأة عندما قال: لديّ هنا بعض الأوراق يا واطسون، والتي أعتقد أنّها تستحق النظر والدراسة فعلاً.

إنّها المستندات والوثائق المتعلقة بقضية (سفينة غلوريا سكوت) الغريبة، إضافةً إلى الرسالة التي أرعبت قاضي الصلح تريفور فومات عندما قرأها.

أخرج هولمز بعد ذلك من درج مكتبه لفافةً أسطوانيةً يعلوها الغبار والأوساخ، وقام بفتحها ليناولني رسالةً صغيرةً مكتوبةً بخط اليد، وكان واضحاً أنّ من كتبها كان قد كتبها على عجلٍ، على نصف ورقةٍ من النوع الرديء (الأسمر).

كانت كلمات الرسالة: (لقد تمَّ استيراد طيور الزينة لمدينة لندن. نعتقد أنَّ الحارس هيدسون قد تلقَّى الأوامر، وأنَّه كشف طلبات الورق وأي شيء. حتَّى تحافظ على الطيور؛ عليك أن تهرب بها، فهذا هو السَّبيل الوحيد للخروج من هذا المأزق).

توقفتُ عن قراءة هذه الرِّسالة الغامضة، ونظرتُ باتجاه هولمز لأجده يضحك من تعبير الحيرة المرتسم على وجهي. وقال: تبدو محتاراً قليلاً.

- لا أستطيع أن أفهم كيف يمكن لرسالة مثل هذه أن تثير خوف أحدهما. إنَّها تبدو مثيرة للعجب أكثر من إثارة أي شيءٍ آخر.

- ربما، لكن تبقى حقيقة أنَّ من قرأها، وهو شخصٌ لطيفٌ ومتقدِّمٌ في السن ونشيط، خرَّ صريعاً بسببها، كما لو كانت سلاحاً فتاكاً.

قلتُ: أنت تثير فضولي. ولكن لماذا قلت الآن أنَّ هناك أسباباً خاصَّة تدفعني إلى دراسة هذه القضية بالذَّات؟
- لأنَّها كانت أول القضية عملتُ عليها.

كنتُ دائماً أسعى لمعرفة السَّبب الذي جعل زميلي يصب اهتمامه على دراسة الأبحاث الجرمية، لكنني لم أجد وقتاً مناسباً خلال الماضي لأسأله هذا.

أمّا بالنسبة إلى الآن فقد استرخى على كرسيه المريح، وبسط الوثائق على ركبتيه، ثمَّ أشعل غليونه، وجلس لبضع دقائق مدخناً ومقلّباً الأوراق.

ثمَّ سألني قائلاً: ألم يسبق لي أن حدّثتك عن فيكتور تريفور قبل الآن؟ كان صديقي الوحيد خلال العامين اللّذين قضيتهما في الكلية.

لم أكن كما تعرف يا واطسون اجتماعياً، حيث كنتُ أفضل البقاء وحيداً في غرفتي، ملتزماً أساليبي الخاصّة بالتّفكير والتحليل، لذلك كنتُ نادراً ما أختلط بزملاء الدّراسة.

وعلى الرّغم من ممارستي لأنواع من الرياضة أثناء فترة الدّراسة مثل؛ الملاكمة والمبارزة، إلّا أنّي نادراً ما اختلطتُ بأحد.

وكان أكثر ما عمّق هذا الانزواء لديّ اختلاف مجال دراستي عن الآخرين. وكان تريفور هو الوحيد الذي

عرفته بعد أن عضّني كلبه حين كنتُ في طريقي إلى الكنسية صبيحة أحد أيام الأحد.

وبالرغم من أنّها طريقة غير رومانسية في التعارف، إلا أنّها كانت مؤثّرة وطريقة فعّالة لبداية صداقة وطيدة بيننا. حيث بقيتُ عشرة أيام عاجزاً عن الوقوف وكان تريفور يأتي للاطمئنان عليّ على فتراتٍ متقاربة.



في البداية كانت مجرد زيارات تتخلّلها دردشات قصيرة ما لبثت أن تحوّلت إلى نقاشات طويلة، لينتهي الأمر بنا لنصبح أصدقاء مقربين.

لقد كان صديقاً مخلصاً ووفياً روحه مليئة بالعزيمة والطاقة. وكان على عكسي في معظم النواحي، مع وجود نقاط مشتركة نتفق عليها، فكوّنا رابطة صداقة مع بعضنا البعض حين اكتشفْتُ أنه مثلي بلا أصدقاء.

وفي النهاية دعاني لزيارة منزل والده في قرية دونيثورب في نورفولك حيث قضيتُ هناك إجازةً طويلة امتدت حتى شهر كامل.

كان واضحاً أنَّ والد تريفور ثرياً جداً ويتمتع بمكانة اجتماعيةٍ باعتباره قاضياً وصاحب أملاك في دونيثورب الواقعة شمال لانغ مير بلد البحيرات.

كان المنزل مبنياً من الحجر على الطراز القديم، حيث تراه بناءً عظيماً كبيراً وممتداً على مساحةٍ واسعة، تحيط به أشجار البلوط، ويؤدِّي إلى مدخله طريق ممهد بأحجارٍ كلسيَّة صغيرة ومرصوفة بعناية.

كان صيد البط البري في المستنقعات ممتازاً، كذلك صيد السمك الذي كان جيداً أيضاً.

كما كان لديهم مكتبة صغيرة في المنزل، لكن كتبها

متتقاة بعناية، وقد اشتروها كما فهمت من مالك المنزل السابق.

إضافة إلى كل ما سبق كان طبّاخ المنزل ماهراً وطعامه مقبولاً، فكان من الطبيعي أن يقضي المرء هناك شهراً لطيفاً، إلا إذا كان شخصاً يصعب إرضاءه.

كان والد تريفور أرملاً، وصديقي ابنه الوحيد، وإن كنتُ قد سمعتُ بأنّه كان لديه أخت ماتت بمرض الدفتيريا أو الخناق حين كانت بزيارة إلى بيرمنغهام.

أثار الأب اهتمامي لدرجة كبيرة فقد كان شخصاً قليل الثقافة رغم تمتعه بقوة شخصية طبيعية، يعززها جسد قوي وعقل مفكّر رغم أنّه لم يقرأ إلا عدداً يسيراً من الكتب، لكنّه امتلك خبرةً ومعرفةً نتيجة سفره ورؤيته الكثير من المناطق البعيدة في العالم، إضافةً إلى أنّه يتذكّر بشكلٍ جيّد كل ما تعلمه.

أمّا شكله فهو شخصٌ ضخمٌ متوسّط ارتفاع القامة، وشعره أبيض وكث. لون وجهه أسمر وملاحظه خشنة، تعلوها عینان زرقاوان قاسيتان إلى حد الشراسة.

رغم ذلك فهو مشهورٌ في منطقته بلطفه وإحسانه، كما
اشتهر بأنه متساهل في أحكامه داخل قاعة المحكمة.



مساء أحد الأيام أثناء وجودي هناك وفيما كنا نشرب
شاي ما بعد العشاء، أخذ صديقي يتحدث عن ملاحظاتي
واستنتاجاتي التي قمت بصياغتها بنظام معين في ذلك
الوقت (رغم عدم إدراكي للدور الذي يمكن أن تؤديه في
حياتي).

كان واضحاً أن العجوز يظن أن ابنه يبالغ في وصفه
لواحد أو اثنين من أعمالي البطولية المتواضعة، فقد علّق
على كلامه ضاحكاً: حسناً يا سيد هولمز. إذا استطعتُ

اثارة اهتمامك فسأعتبر نفسي مهماً.

أجبتة قائلاً: أخشى أنه لا يوجد ما يقال في هذا الإطار رغم اعتقادي أنك أمضيت آخر سنة في خوف من أن تتعرض لاعتداءٍ ما.

اختفت الابتسامة التي كانت ترسم على وجهه ونظر إلي بإمعان ممزوج بالدهشة ثم قال: هذا فعلاً صحيح تماماً.

وأضاف وهو يلتفت ناحية ابنه: هل تدري يا فيكتور أن عصابة السرقة التي تمكنا من تفريق أعضائها أقسموا بالقضاء علينا؟ وقد تعرض السير إدوارد هولي لاعتداءٍ بالفعل، ما حدا بي التزام الحذر منذ ذلك الحين ومع ذلك لا أدري كيف توصلت إلى هذا الاستنتاج يا سيد هولمز.

أجبتة قائلاً: أنت تملك عكازاً مميزاً جداً، وقد لاحظت من النقش الموجود عليه أنك لم تحصل عليه سوى منذ عام أو أقل. وقد قمت بنزع الرأس، وصيبت الرصاص داخل التجويف لتجعل من العكاز سلاحاً فعالاً. لقد تخيلت أنك لن تتخذ مثل هذه الاحتياطات ما لم تكن تخشى وتوقع حدوث مكروه ما.

فسأل مبتسماً: هل ثمة شيء آخر؟

- لقد مارست الملاكمة في شبابك لفترة طويلة.

- هذا صحيح أيضاً، لكن كيف عرفت؟ هل لاحظت الانحراف في أنفي؟

- لا بل إلى أذنيك لأنهما كما أذني الملاك سميتان ومفلطحتان.

- وماذا غير ذلك؟

- لقد أمضيت فترة طويلة في أعمال الأرض والحفر، وهذا واضح من خشونة وتصلب يديك.

- لقد حصلت على كل أموال من مناجم الذهب.

- كما أنك ذهبت إلى نيوزيلندا.

- أصبت ثانية.

- وقمت بزيارة اليابان.

- أنت مصيب تماماً.

- وأنت على علاقة مؤخراً بشخص يبدأ اسمه بحرفي

«ج أ»، ثم اتجهت نحو نسيانه تماماً والابتعاد.

نهض السيد تريفور ببطء وهو ينظر إليّ بدهشةٍ وغرابةٍ
مُبتأً عينيه الزرقاوين الواسعتين عليّ، ثمّ ترنّح مائلاً إلى
الأمام وسقط فوق الطاولة مغشياً عليه!

يُمكنك بالطّبع يا واطسون أن تتخيّل المفاجأة التي
صدمتنا حينها، رغم أنّ إغماء السيّد تريفور لم يدم طويلاً
حيث قمنا فوراً بفك أزرار قميصه، ونثرنا بعض الماء على
وجهه، ليشهق مرةً أو اثنتين قبل أن يعود ليجلس في مكانه.

قال وهو يحاول أن يرسم ابتسامةً على وجهه: آه
يا أولاد، أرجو ألا أكون قد سببتُ لكم الهلع. رغم أنّي
أبدو قوياً إلا أنّ قلبي ضعيفٌ بعض الشيء، وقليل من
الانفعال قد يتسبب لي بفقدان الوعي.

لا أعرف كيف توصّلت إلى هذه الاستنتاجات يا سيد
هولمز، لكن يبدو أنّك تفوّقت على كل أنواع المخبرين،
سواء الحقيقيين أو المتخيّلين! هذا هو دربك في الحياة
ياسيدي، واعتبر هذه نصيحة من رجلٍ يتمتّع بخبرةٍ كبيرةٍ
في الحياة.

كانت هذه النصيحة إضافة إلى المقدّمة التي بالغ من

خلالها في تقدير إمكانياتي، -إذا شئت الحق يا واطسون- هي أول ما جعلني أشعر بأن كل ما قمتُ به قبل ذلك الوقت كان مجرد لعب وهواية يمكن أن يتحوّل إلى مهنة. بكل الأحوال فقد كنت مهتمّاً بالعارض الصحيّ المفاجئ لمضيفي، حتّى أنّي لم أعد أستطيع التفكير بأي شيء آخر. فقلتُ له: أرجو ألا أكون قد قلتُ شيئاً سبّب لك الألم؟

فردّ بطريقة تحمّل شيئاً من المزاح رغم مسحة الرعب الموجودة في عينيه، وقال: حسناً، لقد وضعت يدك على شيءٍ حسّاس بالتأكيد. هل يمكنني سؤالك كيف عرفت كل ذلك؟ وما مقدار ما تعرف؟

أجبتُ: الأمر بسيطٌ للغاية، فعندما كشفت ذراعك لتسحب السمكة من الماء رأيتُ وشماً لحرفي (ج أ) على ثنية مرفقك، وكان الحرفان واضحيان رغم تغيّر لون الجلد حولهما في دليل على محاولات لإزالتها. من الواضح أنّهما كانا حرفان مُهمّان لك، لكنّك كنتَ تحاول التخلص منهما ومن ذكرى صاحبهما بعد ذلك.

هتف وهو يزفر أنفاسه براحة قائلاً: إنّك تملك عيناً

ثاقبة! الأمر كما وصفته تماماً. لكن لماذا نتكلم عن هذا الأمر الآن أو عن الأشباح، فأشباح المحبّين السابقين هي الأسوأ على الإطلاق. دعونا نذهب الآن إلى الغرفة التي بها طاولة البلياردو لندخن السيجار هناك بهدوء.

منذ ذلك اليوم، وبالرغم من كل المودة التي أظهرها، أخذ السيد تريفور ينظر إليّ بعين الشك، وكانت تصرفاته تشي بذلك لدرجة أن ابنه علّق على الأمر قائلاً: لقد أخفت القاضي لدرجة أنه لن يكون متأكّداً أبداً بعد الآن ما الذي تعرفه والذي تجهله.

أنا واثق بأنّه بالفعل لم يكن ينوي إظهار ذلك، لكنّ الأمر سيطر على تفكيره لدرجة أخذ يبدو جلياً في كل تصرفاته.

وأخيراً اقتنعتُ بأنّ وجودي بات يُسبّب له القلق وعدم الرّاحة، فقرّرت الرّحيل منهياً زيارتي. لكن في نفس اليوم الذي كنت سأغادر فيه، وقعت حادثة اتّضحت أهميتها لاحقاً.

كنا نحن الثلاثة جالسين في الحديقة ننعّم بضوء

الشمس، ونبدي إعجابنا بمشهد البحيرات عندما جاءت الخادمة لتقول: أنَّ بالباب رجلاً يريد رؤية السيد تريفور.

سألها مضيفي: ما اسمه؟

- لم يذكر اسمه.

- ماذا يريد إذن؟

- قال إنَّك تعرفه وإنَّه يود الحديث معك لدقيقة واحدة فقط.

- في هذه الحالة، دعيه يدخل إلى هنا.

بعد ذلك جاء رجلٌ صغير الحجم، ومتقدِّمٌ في السن يتصرَّف بطريقةٍ متملِّقة، ويمشي بطريقةٍ ذليَّة. كان يرتدي سترَةً متَّسخَةً مفتوحة، أحدُ أكمامها ملطَّخٌ ببقعةٍ من القطران، وقميصاً أحمر وأسود، إضافةً لجزمةٍ بالية.

كان وجهه أسمرًا ونحيلًا، ترسم عليه ابتسامةٌ خبيثة، تُظهر أسنانه الصفراء غير المرصوفة جيِّداً. وكان جلد يده المجعَّد مغطَّى بطريقةٍ لا يقوم بها إلا البحارة.

حين تقدَّم باتجاهنا بتمهل، سمعتُ السيِّد تريفور يُصدر

صوتاً غريباً من فمه، ثمَّ هبَّ واقفاً، وهرع إلى داخل البيت ليعود بعد لحظة. عندها أحسستُ أنه دخل لتناول شراب قوي لأنِّي شممتُ رائحته عندما ما مرَّ بجانبي وهو عائد.

قال: حسناً يا هذا، ماذا يمكنني أن أقدم لك؟

نهض البحَّار وهو يرمقه بعينين عازمتين، والابتسامة الخبيثة ما زالت على فمه وسأله: ألم تعرفني؟

أجاب السيد تريفور مبدياً الدهشة: يا للعجب! آه يا إلهي! أنت حتماً هيدسون.



أجاب البحّار: نعم أنا هو يا سيدي.... يا إلهي! لقد مضت أكثر من ثلاثين عاماً منذ آخر مرّة رأيتك بها. وها أنت هنا في منزلك، فيما أنا ما زلتُ أشقى وأتعب لأحصل على وجبة لحم مقدّد.

قال السيد تريفور متّجهاً نحو البحّار: هراء، ستجد أنّي لم أنس الأيام الخوالي. ثمّ همس له بكلام لم نسمعه ليضيف بصوت عالٍ: هيا اذهب إلى المطبخ لتأكل وتشرب. أنا واثق بأنّي سأندبّر لك عملاً.

قال البحّار وهو يمسح جبينه: أشكرك يا سيدي. لقد انتهيت للتو من العمل لمدة عامين متواصلين على متن سفينة شحن كان ينقصها عمّال. لذلك أرغب بعمل مريح واعتقدتُ أنّه يمكنني الحصول على ذلك لديك أو لدى السيد بيدوس.

هتف تريفور: آه، وهل تعرف أين تجد السيد تريفور؟

فأجاب الرّجل بابتسامة خبيثة: لتحملك السّماء يا سيدي، أنا أعرف مكان كل أصدقائي.

مشى بعد ذلك بثقل خلف الخادمة إلى المطبخ.

بدأ السيد تريفور يخبرنا بعض الأشياء عنه، وكيف أنه كان ريقه عندما كانوا ذاهبين للبحث عن الذهب. بعد ذلك تركنا ودخل إلى البيت وعندما دخلنا بعد ساعة وجدناه ممداً على الأريكة وهو ثملٌ تماماً.

ترك هذا الأمر انطباعاً سيئاً لدي، ولم أكن آسفاً عندما غادرت دونيثورب في اليوم التالي بعد أن شعرتُ أن وجودي أصبح مصدر إزعاج لصديقي.

لقد حدث كل ما سبق خلال أول شهور إجازتنا الدراسية الطويلة. عدتُ بعد رحلتي إلى دونيثورب إلى غرفتي في لندن، حيث أمضيت الأسابيع السبعة التالية في المعمل منهمكاً في تجارب الكيمياء العضوية.

وفي يوم من الأيام حين كان الخريف في أواخر أيامه والإجازة على وشك الانتهاء، تلقيت برقيةً من صديقي يرجوني فيها أن أعود إلى دونيثورب، ويقول أنه هناك حاجة ماسة إلى نصحي ومساعدتي.

وبالطبع تركتُ كل شيء وسافرت شمالاً مرة جديدة حيث قابلني صديقي في المحطة وصعدنا سوية عربة تجرها

الكلاب، ورأيت بسرعة أن الشهرين المنصرمين مرا بصعوبة بالغية عليه. لقد أصبح نحيلاً والهم يبدو واضحاً على وجهه، وفقد روحه المرحّة التي كانت تميّزه.

أول ما قاله لي كان: إن القاضي (أبي) يموت.

صحتُ: غير معقول! ماذا حدث؟

- جلطة دماغية أو صدمة عصبية شديدة... حالته حرجة جداً منذ البارحة، وأشك أن نجده حياً عندما نصل.

سألته وقد روّعتني الأنباء المفاجئة: ما السبب في ذلك؟

آه، هذه هي النقطة المهمة. تعال إلى داخل العربة وسنناقش الأمر في الطريق إلى المنزل.

هل تذكر ذلك الرجل الذي جاء لزيارتنا في مساء آخر يوم لك عندنا قبل أن تغادرنا؟
- أذكره تماماً.

- هل تعرف من هو الشخص الذي سمحنا له بدخول منزلنا في ذلك اليوم؟

- ليست لدي أدنى فكرة عن ذلك.

- لقد كان هو الشيطان بذاته يا هولمز.

نظرتُ إليه بذهول فيما تابع قائلاً: أجل، لقد كان الشيطان بعينه. لم نحظْ بساعة هدوءٍ منذ أن وطئت قدمه بيتنا... ولا ساعة واحدة.

فالقاضي لم يرفع رأسه أو ينهض منذ ذلك الحين، والآن يبدو أنه خسر حياته وتحطّم قلبه... كل ذلك بسبب ذلك اللعين هيدسون.

- وما هو مصدر قوته؟

- آه، هذا بالضبط ما يجعلني أَدفع كل ما أملك كي أعرفه. كيف يسقط القاضي الجليل، ذلك الشخص العطوف الطيّب واللّطيف ضحية لهذا الشخص الغوغائي؟!

لكن أنا مسرور جداً بقدومك يا هولمز، لأنّي أثق بأحكامك وتقديرك للأمور، ولأنّي على ثقة بأنك ستقدّم لي أفضل النصائح.

كانت العربّة تمضي بنا بسرعةٍ عبر الطريق الريفية

المهَّدة بالحصي، فيما يلمع ضوء شمس الغروب على
سطح ماء البحيرات الممتدة أمامنا.

كنتُ أستطيع رؤية المداخن العالية وسارية العلم
المميَّزة لمنزل المالك عبر الحقل الموجود على يسارنا.

قال رفيقي: لقد وظَّف أبي ذلك الشَّخص كبستاني،
لكنَّه لم يقبل الوظيفة، فجعله أبي رئيساً للخدم، وحينها
أصبح المنزل تحت سيطرته يصول ويجول فيه كما يشاء.

حتَّى الخادِمات أخذن يشتكين من بذاءة لسانه،
ما اضطرَّ أبي لرفع رواتبهنَّ تعويضاً عن هذا الإزعاج.

كان ذلك الشَّخص يأخذ قارب أبي وأفضل أسلحته
ليذهب برحلات صيدٍ قصيرة، فيما تعلو وجهه نظرات
الخبث الممزوج بالسُّخرية والوقاحة، لدرجة أنَّي فكَّرت
أكثر من عشرين مرَّة بأن أوسعه ضرباً لو لم يكن يكبرني
سنّاً.

كنتُ أضطرُّ للسيطرة على نفسي بشدة طوال هذه
الفترة يا هولمز، والآن أتساءل هل ما فعلته كان الصَّواب
أم لا.

بعد ذلك أخذت تصرفات ذلك الحيوان هيدسون
تزداد غرابةً، وأصبح أكثر تطفلاً، حتّى أنه رد ذات يوم
على أبي بطريقةٍ وقحةٍ للغاية أمامي.

عندها أمسكته من كتفه وجررته خارج الغرفة، ففرَّ
هارباً بوجهٍ شاحب وعينين مليئتين بالحقد، تُنذران
بتهديدات لا يجرؤ لسانه على إطلاقها.

لم أعرف ما الذي كان يدور بينه وبين والدي المسكين،
حينها كما لا أعرف ما دار بينهما بعد ذلك لكنَّ أبي جاء إليّ
في اليوم التّالي وطلب مني الاعتذار لهيدسون فرفضت.

ثمَّ استفسرت من والدي كيف يسمح لمثل هذا
الوضع بأن يعامله بطريقةٍ غير محترمة وغير لائقة كما
يفعل مع الجميع في البيت. فقال: يا بني، من الأفضل ألا
نتحدّث بهذا الموضوع. أنت غير مدرك للموقف الذي أنا
فيه، لكنَّك ستعرف يا فيكتور... سأحرص على أن تعرف
وليحدث ما يحدث. لكنَّك لن تصدق أنَّ والدك العجوز
المسكين يمكن أن يقوم بسوء ما، أليس كذلك؟

كان منفعلاً جدّاً، فحبس نفسه بعد ذلك في مكتبه

طوال النهار حيث كنت أستطيع مشاهدته وهو مشغول
بكتابة شيء ما.

في ذلك المساء حدث ما بدالي وكأنه الخلاص الكبير
للجميع، حين أخبرنا هيدسون بأنه سوف يغادر ويتركنا.
فقد دخل إلى غرفة الطعام وأعلن نيّته الرّحيل بصوتٍ
أجش صادر عن شخصٍ مخمور وقال: لقد مللت
نورفولك. سأذهب إلى السيد بيدوس في هامبشاير. سوف
يفرح كثيراً لرؤيتي كما سررتَ أنتَ برؤيتي يا سيدي.

فردّ عليه أبي بشكلٍ ذليل جعل الدّم يغلي في عروقي
وقال: أرجو أن لا ترحل من هنا وأنتَ لستَ راضٍ
يا هيدسون.

أجابه بامتنعاض فيما كان ينظر باتجاهي: لكنّي لم أحصل
على الاعتذار الذي طلبته.

قال أبي وهو ينظر ناحيتي: عليك أن تعترف يا فيكتور
بأنّك كنتَ فظاً بتعاملك مع هذا الإنسان الفاضل.



أجبتہ: علی العکس أظن أننا صبرنا علیہ أكثر من
اللازم.

فزجرحر هیدسون صائحاً: آه، تظن أنکم صبرتم علی!
حسنأ جداً یا صدیقی، سنرى بشأن ذلك.

ثمَّ خرج بهدوءٍ مُريب من الغرفة. وبعد هذه الحادثة بنصف ساعة غادر المنزل تاركاً أبي في اضطراب يُرثى له.

كنت أسمع أبي ليلة إثر أخرى يجوب غرفته قلقاً. وحين بدأ يتخلّص من قلقه وقعت هذه المصيبة.

فسألتُ بتلهف: وكيف كان ذلك؟

- بأكثر الطرق غرابة. لقد استلم أبي مساء أمس رسالة عليها طابع بريدي يفصح بأنّها مرسلّة من فوردنغ بريدج.

حين قرأ أبي الرسالة وضع رأسه بين يديه، وأخذ يدور في الغرفة حول نفسه كشخصٍ فقد عقله، وعندما أخذته ليجلس على الأريكة وكان جفناه وفمه متشنجان. أدركتُ على الفور أنّه قد أصيب بجلطة دماغية.

استدعينا الطبيب فوردهام الذي حضر على الفور، ووضعنا أبي في سريره، لكنّ الشَّلل الناتج عن الجلطة كان قد شمل معظم جسده ولم يظهر أي إشارة على إمكانية أن يستعيد وعيه... لا أعتقد أنّنا سنجده حيّاً حين نصل إلى البيت بعد قليل.

فهمتُ قائلاً: بدأتُ تُخيفني يا تريفور! ما الذي يمكن أن يكون في تلك الرسالة ليؤدي إلى هذه النتيجة المرعبة؟

- لم أجد شيئاً. وهذا الجزء الذي يصعب فهمه. فالرسالة غريبة وتافهة... آه، يا إلهي! هذا ما كنت أخشاه.

في هذه الأثناء كانت العربية تستدير لندخل في مدخل المنزل، واستتجنا من الضوء الخافت أن كل ستائر المنزل مسدلة.

وحين أسرعنا إلى الدّاخل خرج من المنزل رجلاً يرتدي الأسود. سأله تريفور بحزن المدرك لما حدث: متى حدث ذلك يا دكتور؟

- تقريباً بعد مغادرتك مباشرةً.

- هل استعاد وعيه؟

- للحظات قبيل وفاته.

- هل ترك أي رسالة؟

- لقد قال فقط أن الأوراق في الدّرج الخلفي للخزانة

اليابانية.

ذهب صديقي مع الطَّبيب إلى غرفة المتوفي، فيما بقيت أنا في المكتبة، وأخذتُ أفكر بالموضوع كله مرةً تلو الأخرى، في الوقت الذي ينتابني شعور بالكآبة لم أشعر بمثله من قبل.

وبدأت أتساءل ما هو ماضي تريفور الأب؟ وما الذي يجعل ملاكماً ورَّحالةً وباحثاً عن الذهب يضع نفسه تحت رحمة ذلك البحَّار صاحب الوجه الخبيث؟ ولماذا أغمي عليه عند الإشارة إلى حروف الوشم المشوَّهة على ذراعه؟ وما السَّبب بوفاته رعباً بعد أن قرأ الرسالة من فوردنغهام؟

عندها تذكَّرتُ أنَّ فوردنغهام تقع في هامبشاير حيث يقيم السيد بيدوس الذي ذهب هيدسون لزيارته أو ابتزازه كما فعل هنا. إذن فالرسالة إمَّا أن تكون من هيدسون يخبره فيها بأنه أفشى السر أو من بيدوس يحذِّر فيها شريكه القديم من أن السر على وشك الانفضاح.

كان كل شيء واضحاً حتَّى هذه النقطة، باستثناء وصف تريفور الابن للرسالة بأنها لم تحوي شيئاً مهماً. فهل يعقل هذا؟ لا بدَّ أنه لم يفهم ما ورد فيها جيداً أو أنَّ الرسالة

مكتوبة بطريقة مشفرة بحيث يدلُّ معناه على شيءٍ ما، فيما هي تتحدَّث عن شيءٍ آخر. وقلت لنفسي لا بد أن أرى تلك الرسالة، وإذا كان هناك أي معنى خفي فيها فإني على ثقة من معرفته.

جلست لساعة مكتئباً وأنا أقلب الأمر في رأسي. أخيراً جاءت الخادمة باكيةً تحمل مصباحاً، وكان صديقي يتبعها. كان تريفور شاحباً لكنَّه بقي مُتماسكاً، وكان يحمل الأوراق التي أضعها الآن على ركبتيَّ لأدرسها.

جلس قبالي ثمَّ وضع المصباح قرب حافة الطاولة وأعطاني ملاحظةً صغيرةً مكتوبةً بخطٍ سيء على ورق رمادي اللون. كان مكتوب فيها؛ (عملية استيراد طيور اللعبة إلى مدينة لندن. نعتقد أنَّ الحارس هيدسون قد تلقَّى الأوامر، وأنَّه قد كشف طلبات الورق وطلبات الطيور وكل شيء. حتَّى تتمكَّن من الحفاظ على الطيور أو الدجاجات يجب أن تفرِّبها لأنَّ هذا هو السبيل الوحيد للنَّجاة).

أستطيع أن أخبرك أنَّ الحيرة قد اعترتني حينها كما

تعريك الآن. أعدت قراءتها بتركيز شديد، لكنّها كانت مشفرة كما توقّعت، ولا بد أن معنى خفياً يكمن في تلك التركيبة الغريبة أو ربما هناك إشارات أو حروف متفق عليها مسبقاً، مثل عبارة (استيراد الطيور) أو (طلبات الورق) وفي هذه الحالة لا يمكن تخمين المعنى بأي طريقة ما لم نعرف إلى ماذا تشير.



لم أرد أن أصدّق أن الأمر ينتهي هنا، وبدا وجود اسم هيدسون وكأنّه يشير إلى أن موضوع الرسالة كان كما توقّعت، وأنها لا بد أن تكون موجّهة من قبل بيدوس

وليس من البحار. حاولت قراءتها من الآخر إلى الأول لكن النتيجة كانت مخيبة، ثم حاولت تبديل مكان المفردات دون جدوى.

فجأة أصبح مفتاح لغز الرسالة بيدي، فقد وجدت أننا لو أخذنا رابع كلمة من الرسالة سوف نحصل على عبارة ربما تؤدي بتريفور الأب إلى اليأس. لقد كانت تحذيراً مختصراً وقاسياً عندما قرأتها على مسامع زميلي: اللعبة انتهت. هيدسون كشف كل شيء. اهرب لكي تنجو.

دَفَن فيكتور تريفور وجهه بين يديه المرتعشتين وقال: لا بد أن يكون ذلك صحيحاً... إن هذا أسوأ من الموت فهو يعني العار أيضاً... لكن ما معنى عملية استيراد الطيور وما إلى ذلك؟

- يبدو أن لا علاقة لها بمحتوى الرسالة. يمكنك أن ترى أنه بدأ بكتابة (اللعبة.... انتهت.... إلخ، ثم ومن أجل اتمام الشيفرة المتفق عليها مسبقاً قام بوضع ثلاث كلمات في كل فراغ، ومن الطبيعي أن يستخدم أول كلمات ترد على خاطره، فإذا كان في الرسالة ما يُشير إلى الطيور أو

الصيد يمكن أن نخمّن أنّ كاتبها من هواة الصيد أو من المهتمين بتربية الطيور. هل تعرف أي شيء عن بيدوس؟
فأجاب: يا للعجب! لقد تذكّرتُ الآن. كان أبي المسكين معتاداً على تلقّي دعوات للصيد من السيد بيدوس في محميّته كل خريف.

قلتُ: إذن الرسالة منه بلا شك. بقي الآن أن نعرف ماهو هذا السر الذي كان البحار هيدسون يهدّد به هذين الرجلين الغنيين المحترمين.

هتف صديقي: أخشى أن يكون بالأمر خطيئة ما أو عاراً يا هولمز. لكنني لن أخفي عنك أي أسرار. ها هو التصريح الذي كتبه أبي عندما عرف أنّ هيدسون بات يشكّل خطراً وشيكاً. لقد وجدته في الخزانة اليابانية كما قال أبي للطبيب قبل موته. إليك به، اقرأه لي لأتّي لا أملك شجاعة قراءته بنفسي.

هذه هي الأوراق التي أعطاني إياها يا واطسون. سوف أقرأها لك كما قرأتها له في المكتبة تلك الليلة. وكما هو مدون على الأوراق من الخارج فإنّها تحوي بعض التفاصيل

المتعلقة برحلة السفينة (غلوريا سكوت) ابتداءً من تاريخ مغادرتها مرفأ فالموث في الثامن من تشرين الأول عام 1855 حتى غرقها عند خط العرض 15 درجة شمالاً وخط الطول 25 درجة غرباً. تمت صياغة هذه الأوراق على شكل رسالة وهي كالتالي:

ولدي العزيز:

الآن مع اقتراب العار مني ليدنس السنوات الأخيرة من حياتي، أستطيع أن أعترف لك بكل صدق وأمانة بالتالي: إنَّ ما أخشاه ويخيفني ليس القانون ولا فقدان مركزي الاجتماعي أو حتى مواجهة ازدراء كل من أعرفهم. إنَّ أكثر ما يخيفني هو أن تخجل أنت من كوني أباك... أنت يا من أحببني ولم يكن لديك، كما أتمنى، من الأسباب إلا ما يجعلك تحترمني. لكن إذا وقعت المصيبة التي كان يتم تهديدي بها، أرجوك قراءة هذه الرسالة لتعرف مني مباشرة قبل سماع أي طرف آخر. لذلك أرجو منك حرق هذه الأوراق بعد قراءتها مباشرة ونسيان ما فيها إذا وقعت تحت يديك. وأستحلفك بروح أمك الغالية والعاطفة التي

جمعتني بك لتفعل ذلك. أمّا إذا قرأت هذه السطور فهذا يعني أنّ أمري قد افتضح وألقي القبض عليّ أو توفيت نتيجة ضعف قلبي. في كلتا الحالتين فإنّ زمن كتمان الأسرار قد فات، وكل كلمة أقولها لك الآن هي الحقيقة الكاملة، وأقسم على ذلك كما أتمنى أن يرحم الله روحي.

اسمي يا ولدي ليس تريفور، فقد كان اسمي عندما كنتُ شاباً جيمس آرميتاج. وسوف تتمكّن الآن من إدراك لماذا أُصبت بالصدمة منذ أسابيع حين اقترّب صديقك من كشف سري. حين كان اسمي آرميتاج كنتُ أعمل في شركة لندن المصرفية. ثمّ ارتكبت خطأً فحُكِم عليّ بالنفي. أرجو أن لا تنقسو عليّ بالتّسرع بأحكامك يا بني فقد كان جرمي دينَ شرف، أو هكذا يسمّى، وكنتُ ملزماً بوفائه، إلا أنّي استخدمتُ أموال غيري لسداد الدّين، وأنا على يقين بقدرتي على إعادتها قبل اكتشاف فقدانها من الشركة. لكن سوء الحظ لازمني؛ فالمال الذي كنت أعتمد عليه في السداد لم يأت في مواعده، وأدّى تحقّق مبكر من الحسابات إلى كشف عجز بالقيمة التي أخذتها. كان من الممكن

التَّساهل في التَّعامل مع القضية، لكنَّ القوانين كانت تطبَّق بصرامة أكبر مما هي عليه الآن. وهكذا وجدتُ نفسي أمضي عيد ميلادي الثالث والعشرين مُقيّداً كمجرم مع سبعة وثلاثين آخرين من المحكومين على متن السفينة (غلوريا سكوت) المتَّجهة إلى أستراليا.

حدث ذلك في العام 1855 حين كانت حرب القرم في أوجها. لقد استُخدمت حينها سفن نقل المحكومين القديمة كثيراً في النقل بالبحر الأسود، مما أرغم الحكومة على استخدام سفن أصغر وأقل جودة لنقل سجنائها. كانت غلوريا سكوت تُستخدم في تجارة الشاي الصيني. وكانت من طرازٍ قديم، ومقدِّمتها ثقيلة وضخمة، كما أنَّها سفينة عريضة، استُبدلت بالسفن الشراعية الحديثة. كانت حمولة السفينة بخمسمائة طن وإلى جانب السَّجناء الثمانية والثلاثين كانت تحمل ستة وعشرين من أفراد الطاقم، وثمانية عشر ضابطاً، إضافة إلى القبطان، وثلاثة مساعدين، ورجل دين، وطبيب وأربعة حراس. أي كانت السفينة تحمل حوالي مائة شخص كانوا جميعاً على متنها عندما

انطلقت من مرفأ فالموث كما ذكرت.

كانت الجدران الخشبية بين حجرات المحكومين قليلة السماكة وضعيفة، بدل أن تكون من خشب البلوط القوي، كما هو الحال في سفن نقل المحكومين الاعتيادية. كان الشخص الذي يقف خلفي من الذين يلفتون الانتباه وقد لفت انتباهي فوراً عندما اقتادونا على رصيف الميناء. كان شاباً جميل الوجه، حليق الذقن بأنف طويل نحيل وفكين شديدين. كان يمشي بخيلاء رافعاً رأسه بتكبر. وكان متميزاً بطوله غير العادي حيث أن معظمنا ما كان ليصل إلى مستوى كتفه، وأنا على ثقة من أن طوله لم يكن يقل عن ستة أقدام ونصف. كان من الغريب رؤية مثل هذا الوجه المقعم بالحوية والعزم وسط وجوه المساجين الواجمة المتعبة. وكان ذلك بالنسبة لي مثل مصدر للدفع وسط عاصفة ثلجية، لذلك كنت سعيداً لأن مكانه جاء بجواري، وأصبحت أكثر سعادة عندما سمعت همس في أذني في الليل يأتي من شق فتحة اللوحة الخشبي الفاصل بين حجرتي.



قال: أهلاً يا زميل. ما اسمك ولماذا أنت هنا؟

أجبتة ثم سألته من يكون، فقال: أنا جاك برنדרجست. وبإذن الله، سوف تعلم كم أنا مهم قبل أن تنهي حديثك معي.

وتذكرتُ أنني سمعت عن قضيتِه لأنها أثارت ضجةً كبيرةً في كل أنحاء البلاد، وذلك قبل أن أسجن بفترة قصيرة. كان رجلاً ينحدر من عائلةٍ كبيرة، ولديه الكثير من القدرات الخارقة، لكنّه كان شريراً، وفي نفس الوقت بارعاً جداً في النصب والاحتيال على تجار لندن الكبار وسلبهم مبالغ ضخمة من المال. قال بفخر وزهو: هاها! أرى أنّك قد تذكرتُ قضيتي، أليس كذلك؟

- تذكرتها جيّداً بالفعل.

- ألا تتذكر أمراً غريباً حدث فيها؟

- وما هو ذاك؟

- لقد تمكّنتُ من الحصول على ربع مليون جنيه، أليس

كذلك؟

- هذا ما يُقال.

- ولم يستردوا منه أي شيء؟

- أجل.

فقال مدّعياً أنه يسأل: إذن أين النقود برأيك؟

أجبت: ليس لديّ أدنى فكرة.

فهتف قائلاً: إنه بين أصابعي! لدي من الأموال أكثر مما في رأسك من شعر. عندما يكون لديك المال يا بُني وتعرف كيف تتصرف به وتوزعه، فإنك تستطيع فعل أي شيء.

حسناً... لا يمكن أن تُصدّق أنّ شخصاً قادراً على فعل كل شيء سيبقى حتّى تبلى ملابسه في هذا السجن الذي تفوح منه هذه الرائحة الكريهة، الناجمة عن بقايا الفئران والقمل والذي يشبه التّابوت القديم. كلا مثل هذا الشخص لا بد أن يعتني بنفسه وزملائه، ويمكنك الاعتماد على ذلك، وتتمسّك بهذا الشّخص، وأن تثق بأنّه سيجرك خارج هذا المكان.

هذا كان أسلوبه بالكلام. لقد ظننتُ في البداية أنّه لم يكن يعني شيئاً بكلامه، لكن بعد فترة وبعد أن اختبرني

وجعلني أقسم بكل ما هو مقدّس، أخبرني أن هناك مخطط للسيطرة على السفينة، وأن عدداً من السجناء قد دبّروا المخطط قبل صعودهم على متن السفينة، وأن برنדרجست هو القائد، وأمواله هي الدافع المحرّك.

قال: معي شريكٌ جيد نادر الوجود، وهو يملك الأموال. هل تستطيع أن تُخمّن أين هو هذه اللحظة؟ إنّه رجل الدين الموجود على متن السفينة! رجل الدين وليس أي شخص آخر. لقد صعد على متن السفينة بالمعطف الأسود وكل أوراقه صحيحة، ومعه ما يكفي من الأموال ليشتري هذه السفينة ومن فيها. إنّ أفراد طاقم السفينة معه دون تردّد. لقد اشترى ولائهم... اشتراهم بالجملة! كما اتفق أيضاً مع حارسين والمساعد الثاني للقبطان. يمكنه شراء القبطان نفسه لو اعتقد أن هذا مفيدٌ لنا.

فسألتُ: ماذا سنفعل نحن إذن؟

أجاب: وماذا تعتقد أنّنا فاعلين؟ سنلطيخ معاطف بعض هؤلاء الجنود بالدم.
قلت: لكنّهم مسلّحون.

- كذلك نحن سنكون مسلحين يا بني! لدينا مسدسان لكل واحد منا، وإذا لم نستطع الاستيلاء على هذه السفينة وطاقتها بجانبنا فالأفضل لنا إذن أن نذهب إلى مدرسة للبنات! تحدّث إلى جارك في الحجرة الأخرى وانظر إذا ما كان أهلاً للثقة.

عندما قمت بذلك وجدت أنّ جاري شابّ متهم بالتزوير ووضعه يشبه وضعي. كان اسمه إيفانز لكنّه غيره بعد ذلك وهو الآن شخصٌ غنيٌّ وناجح في جنوب انكلترا.

وجدته مستعداً بما يكفي لينضم لنا في مؤامرتنا على اعتبار أنّها الوسيلة الوحيدة لإنقاذنا. وهكذا وقبل أن نعبر الخليج كان هناك اثنان فقط من السجناء لا يعرفان ما يجري. حيث كان أحدهما مجنوناً لا يمكن إخباره أي أسرار، فيما الآخر مصاب باليرقان ولا فائدة ترجى منه.

لم يكن هناك ما يمنعنا من السيطرة على السفينة منذ البداية، فقد كان طاقتها مجموعة من الأشرار الذين تم اختيارهم وهكذا نوع من الأعمال. كان رجل الدين المزيف

يزورنا يومياً بحجة توجيه النصيح لنا، وكان يحمل معه عندما يأتي حقيبة سوداء يُفترض أنها تحوي كتباً، إلا أنها في الحقيقة زوّدت كل منا بعد أن زارنا لثلاثة أيام مبرداً وزوجاً من المسدسات ورطلاً من البارود، إضافةً إلى عشرين طلقة.

وبالإضافة إلى كل ما سبق كان اثنان من الحرس يعملان كوكيلين لبرنדרجست، وكان مساعد قبطان السفينة الثاني هو أهم مساعدتي برنדרجست.

وهكذا لم يبقَ في السفينة ضدنا سوى القبطان واثنين من مساعديه، وحارسين والطبيب والضابط مارتن، إضافةً لجنوده الثمانية عشر. وعلى الرغم من تفوقنا الواضح فقد قرّرنا عدم إهمال أي تفصيل مهما كان بسيطاً، وقررنا الاستيلاء على السفينة ليلاً.

لكن الأمر حدث أسرع مما كنا نتوقع وقد جرى كما لي: بعد إبحار السفينة بثلاثة أسابيع ذهب الطبيب لفحص أحد السّجناء الذي أصيب بالمرض، وحين وضع يده على سرير المريض كشف الأسلحة النارية المخبأة.

وما أن عرفها حتى أخذ يصيح بعصبيّة، وأخذ لون وجهه يزداد شحوباً، عندها أدرك السّجين أنّ الطبيب عرف بأمر السلاح، فقبض عليه وكمّمه قبل أن يتمكّن من تحذير الآخرين. ثم ربطه إلى السّرير وفتح الباب المؤدي إلى سطح السفينة فاندفعنا جميعاً إلى السطح بسرعة.

أطلقنا النار على الحارسين وعلى العريف الذي خرج ليستطلع الأمر. بعد ذلك توجهنا إلى حجرة القبطان لنسمع صوت انفجار قوي في داخل حجّرته، وعندما فتحنا الباب وجدنا القبطان ملقى على الأرض فيما الدخان ما زال يخرج من فوهة مسدس رجل الدين.

في تلك الأثناء قام طاقم السفينة المؤجّر بإلقاء القبض على مساعدي القبطان وبدأ وكأن السفينة وقعت تحت سيطرتنا.

تجمّعنا في القاعة الواسعة جانب غرفة القبطان حيث أخذنا نمرح ونثير الضوضاء فقد كنا مبتهجين جداً لأننا أصبحنا أحراراً من جديد.



قام ويلسون رجل الدين المزيف بخلع إحدى الخزائن المعلقة على الجدران وأخرج منها زجاجات النبيذ وقمنا بسكب النبيذ بالكؤوس وبدأنا نشرب. وفيما نحن نشرب سمعنا فجأة أصوات طلقات البنادق وامتلاً المكان بالدخان، فلم نعد نرى شيئاً. وعندما انجلى الدخان رأينا مجزرة حقيقية. فقد كان ويلسون وثمانية آخرون مضرجين بالدماء وهم ملقون على الأرض. كان منظرًا فظيعاً ما زال يصيبني بالغثيان حتى الآن كلما تذكرته. لقد أصابنا ذلك المشهد بالرعب جميعاً لدرجة فكرنا بالتخلي عن فكرة التمرد كلها. لكن برنדרجست اندفع كالثور الغاضب خارجاً واندفعنا خلفه لنجد الضابط وعشرة من جنوده في مؤخرة السفينة حيث كانوا هم من أطلق النار علينا.

كانت النوافذ فوق طاولة غرفتنا مفتوحة قليلاً، ومنها قاموا بإطلاق النار علينا. هاجمناهم قبل أن يتمكنوا من إعادة تلقيم بنادقهم مرة أخرى فواجهونا بشجاعة لكننا تفوقنا عليهم بسبب كثرتنا، وانتهى الأمر خلال خمس دقائق. يا إلهي، كانت مجزرة رهيبة. فقد كان برنדרجست

كشيطان مهتاج من الغضب، وكان يرفع الجنود كما لو كانوا أطفالاً ويرميهم بمياه البحر الأموات منهم والأحياء على حد سواء. كان هناك رقيب مصاب إصابة بليغة ورغم ذلك بقي يسبح لفترة طويلة أثارت دهشتنا حتى أطلق أحدهم النار على رأسه ليقتله رحمة به. وبعد انتهاء الأمر لم يبقَ على قيد الحياة سوى الحراس والمساعدين والطبيب. وقد حدث نزاعٌ بيننا حول طريقة التصرف معهم. كثيرون منا كنا فرحين باستعادة حريتنا، لكننا لم نريد مزيداً من القتل. لقد قبلنا قتل الجنود لأنهم كانوا في معركة ضدنا أما قتل الأسرى فهو إعدام بدم بارد وهذا لم يقبله البعض. وقال ثمانية منا أنهم لن يوافقوا على ذلك، لكن من كان ليجرؤ على الوقوف بوجه برنדרجست ومن معه، خاصةً بعد أن قال أنه لن يترك شهوداً على ما جرى مصراً على أن من بدأ عمل ما يجب أن ينهيه. وكدنا أن ندفع حياتنا ثمناً لموقفنا فلما أن نموت مع من سيقتلون، أو نوافق معه على رأيه. لكنّه قال في النهاية أن بوسعنا المغادرة في أحد قوارب النجاة، فرحبنا بالعرض لأننا كنا

متشوقين لمغادرة هذه السفينة وما يحدث عليها من وحشية وسفك دماء كما اعتقدنا أن الوضع سيزداد سوءاً قبل أن تصل إلى وجهتها أياً كانت. أعطوا كل واحد منا ثياب بحارة وقارورة مياه وبرميلين أحدهما يحوي أشياء عديمة الفائدة والآخر فيه كعك. كما أعطونا بوصلة ورمى لنا برنדרجست خريطة وأخبرنا أن نتصرّف كبحارة سفينة قد غرقت في خط عرض 15 درجة شمالاً وخط طول 25 درجة جنوباً، ثم قطع الحبل الذي كان يربط القارب بالسفينة وتركنا نمضي في سبيلنا.

وهنا وصلنا إلى الجزء الأكثر إثارة في قصتي يا بني. بعد أن أصبحنا في القارب وقطع الحبل الذي يربطنا بالسفينة، قام بحارها بنشر شراعها فأخذت تبتعد عنا نتيجة الريح الخفيفة المتّجهة شرقاً، فيما قاربنا يرتفع وينخفض مع كل موجة تصدمه. جلست أنا وإيفان ندرس الخريطة لأننا أكثر المتعلمين على ظهر القارب. أمعنا النظر في الخريطة لنعرف أين نحن وحتى نخطط للوصول إلى شاطئ محدد دون سواه. وجدنا أن ساحل

رأس فيردز على بعد خمسمائة ميل شمالاً، فيما الساحل الأفريقي على بعد سبعمائة ميل شرقاً. واعتقدنا أن سيراليون ستكون خيارنا المفضل لأنّ الرياح شمالية فأدركنا قاربنا بذلك الاتجاه.

في تلك الأثناء كانت السفينة قد ابتعدت كثيراً عنا ورأينا فجأة سحابة دخان كثيفة تندفع منها باتجاه السماء. بعد ذلك سمعنا صوت دوي انفجارٍ ضخيم. وحتى تلاشى الدخان لم يعد هناك أي أثر للسفينة على سطح الماء. فأدركنا القارب واتجهنا بسرعة إلى المكان الذي لا يزال الدخان يرتفع منه.

مرّت ساعات طويلة قبل وصولنا إلى المكان. كنا خائفين أننا وصلنا متأخرين، وأنه لن نتمكن من إنقاذ أحد. عندما وصلنا وجدنا قارباً محطماً وعدد من صناديق الشحن وقطع خشبية ضخمة ناتجة عن تحطم صواري السفينة لكننا لم نجد أي أثر للحياة في المكان. كنا على وشك الاستدارة والمغادرة عندما سمعنا صرخة استغاثة. رأينا بين الحطام رجلاً ممدداً على أحد القطع الخشبية

العائمة تبين أنه بحار اسمه هيدسون، وكان يعاني حرقاً شديداً وبدأ متعباً إلى درجة كبيرة لم يستطع معها أن نخبرنا بما حدث حتى صبيحة اليوم التالي.



أخبرنا أنه بعد مغادرتنا، قام برنדרجست وعصابته بقتل السجناء الخمسة حيث أطلقوا النار على الحارسين والمساعد الثالث والطبيب، ورموا جثثهم في الماء، وبقي المساعد الأول الذي كان رجلاً جريئاً. فما أن رأى المجرمين

يقتربون منه حتى ألقى بقيوده التي كان قد فكّها بطريقة ما، وأسرع إلى سطح السفينة فافتحم المخزن الخلفي. وحين تبعه اثنا عشر من المتمردين لقتله بأسلحتهم، وجدوه يقف بجوار برميل بارود، وعود الثقاب في يده. كان ذلك البرميل واحداً من مائة برميل أخرى موجودة في السفينة. أخذ يقسم بأنه سيفجر كل شيء إذا اقتربوا منه أو حاولوا قتله.

وبعد لحظات حدث الانفجار حسب اعتقاد هيدسون نتيجة رصاصة طائشة من أحد المتمردين وليس نتيجة إشعال البارود من قبل مساعد القبطان الأول. بغض النظر عن السبب فقد كانت تلك نهاية غلوريا سكوت والمتمردين الذين استولوا عليها.

ها يا بني ما حدث بالتفصيل في ذلك اليوم المريع وهذا ما كنت أنا متورط فيه وأخجل من البوح به. في اليوم التالي انتشلتنا سفينة كانت متجهة إلى استراليا وصدق قبطانها أننا الناجون من سفينة ركاب غرقت.

أما السفينة غلوريا سكوت فقد تم اعتبارها مفقودة ولم

يعرف أحد حقيقة مصيرها. وبعد رحلة مريحة نزلنا في سيدني حيث غيرتُ اسمي، وكذلك فعل إيفان، وبدأنا مغامرتنا في التنقيب عن الذهب هناك. لم نجد صعوبة بالتخلص من هويتنا القديمة وسط الحشود الغفيرة المنتشرة في استراليا حينها.

أما ما حدث بعد ذلك فلا حاجة لقوله. فقد نجحنا في أعمالنا ثم عدنا إلى انكلترا على أننا من سكان المستعمرات الأغنياء، وقمنا بشراء منازل ومزارع في الريف. وعشنا لعشرين عاماً حياة هادئة آمنة متمنين أن يكون الماضي قد انتهى إلى الأبد.

لذلك يمكنك أن تتخيل مقدار الدهشة التي أصابتني حين عرفت أن الرجل الذي وقف ببابي لم يكن سوى هيدسون البحار الذي أنقذناه من حطام السفينة. لقد تتبع أثرنا بطريقة ما وقرر أن يعيش معتمداً على خوفنا من فضح أمرنا.

أرجو أن تدرك الآن لماذا كنت أسايره ولا أغضبه مهما كان الموقف، ولعلك تتعاطف معي الآن حين أقول أن

الخوف يملأ قلبي بعد أن تركني هيدسون متّجهاً إلى
ضحيته التالية صديقي القديم إيفان وهو يهدّد ويتوعّد.

وتحت ذلك كتب بخط مرتعش لدرجة أن الكلمات لم
تكن واضحة. كتب إلي بيدوس (إيفان) رسالة مُشفّرة
أخبرني فيها أن (هـ = هيدسون) قد فضح كل شيء.
فليرحمنا الله.

كانت تلك هي القصة التي رويتها على مسامع صديق
تريفور والتي كتبها له والده قبل موته.

سقط صديقي في حزن عميق بعد ذلك، ثم سافر إلى
سيلان للعمل في مزارع الشاي حيث سمعت أنه نجح
وجمع ثروة كبيرة.

أما فيما يتعلق بالبحار هيدسون وما جرى بينه وبين
بيدوس فلم يسمع أحد عنهما بعد ذلك اليوم الذي كتب
به خطاب التحذير، فقد اختفى كلاهما تماماً. واتّجهت
شكوك الشرطة إلى أن البحار قد قام بالتخلص من بيدوس
ثم لاذا بالفرار.

أما أنا فأظن أن العكس هو ما حدث. فلاحتمال

الأكبر أن يكون بيدوس لما طاله من يأس بعد أن خان هيدسون سره وأفشاه، أن يكون قد انتقم لنفسه ولتريفور الأب وقتل هيدسون ثم هرب من البلاد حاملاً معه ما استطاع الوصول إليه من أمواله الخاصّة.

وهذه يا صديقي العزيز واطسون هي كل الحقائق المتعلّقة بهذه القضية، فإذا وجدت فيها ما هو مفيد لمجموعتك فهي بالأكيد تحت تصرفك.

• انتهى •